عزيز فهمى

شاعر الحرية والشباب

١٩٠٩ — ١٩٥٢

هو الدكتور عزيز فهمى ، من أعلام الحرية والأدب ، وأبطال الوطنية والجهاد .

ولد سنة ١٩٠٩ بطنطا ، وهو نجل الأستاذ عبد السلام فهمى جمعه رئيس مجلس النواب السابق ومن المجاهدين فى الحركة الوطنية .

تلقى علومه الابتدائية والثانوية فى المدرسة الابتدائية ثم فى المدرسة الثانوية بطنطا ، ثم انتقل إلى مدرسة الجيزة الثانوية حيث نال منها شهادة البكالوريا .

وبدت عليه منذ أن كان يتلقى التعليم الثانوى ميوله نحو الحرية والأدب والشعر ، وأنشأ وهو فى مدرسة الجيزة الثانوية مجلة أدبية كان ينشر فيها آراءه وأشعاره .

وانتقل إلى التعليم العالى بالقاهرة ، وجمع بين دراسة الحقوق فى كلية الحقوق ودراسة الأدب بالانتساب إلى كلية الآداب ، فنال ليسانس الآداب سنة ١٩٣٢ ، والحقوق فى سنة ١٩٣٣ ، وكانت رسالته التى قدمها إلى كلية الآداب فى المقارنة فى الشعر العربى بين العصر الأموى والعصر العباسى .

وكان طموحا إلى الاستزادة من العلوم والآداب ، فسافر إلى باريس سنة ١٩٣٣ ، والتحق بجامعتها وحصل منها سنة ١٩٣٨ على الدكتوراه فى القانون ، وكان موضوع رسالته (الامتيازات الأجنبية فى مصر ومعاهدة مونترو) ، وكانت أول رسالة من مصرى عن هذه المعاهدة ، والتحق فى الوقت نفسه بالسوربون للحصول على الدكتوراه فى الأدب .

وقد شبت الحرب العالمية الثانية وهو فى باريس ، فعاد إلى مصر سنة ١٩٤٢ مملوءا وطنية وتضحية ، مستكملا دراساته العلمية والأدبية .

وشغل منصب وكيل نيابة بالمحاكم المختلطة وقتا قصيرا ، ثم ضاق صدرا بالقيود الحكومية ، فاستقال مؤثرا العمل الحر ، والجهاد الحر ، واشتغل بالمحاماة والصحافة ، ووقف قلمه ولسانه ، وقلبه وجنانه ، على الجهاد فى سبيل الحرية ، ومكافحة الاستعمار والطغيان والفساد .

كان أديبا شاعرا ، وخطيبا مفوها ، يجمع بين بلاغة العبارة وسلاسة الأسلوب ، وقوة التفكير ، وغزارة المادة ، والشجاعة الأدبية ، كان يدافع عن الحرية بقلمه ولسانه على صفحات الجرائد ، و بلسانه فوق المنابر ، وفى ساحات القضاء ، وتحت قبة البرلمان .

وقد اعتقل وحقق معه غير مرة بتهمة العيب فى الذات الملكية ، أو التحريض على الإخلال بالنظام ، وكان فى المحاماة يدافع عن الحرية وعن المتهمين فى جرائم الرأى ، ويهاجم الطغيان والقلم السياسى والإجراءات التعسفية .

دخل البرلمان سنة ١٩٥٠ نائباً عن دائرة الجمالية بالقاهرة ، فكانت صفحته فى دار النيابة أقوى صفحات حياته التى قضاها فى الكفاح الوطنى ، وعلى أنه انتخب مرشحا من الوفد ، فإنه لم يتقيد بسياسة الحكومة الوفدية ، وعارضها فيما يستحق المعارضة من تصرفاتها ، وله فى ذلك المواقف المشرفة ، وظهرت مواهبه البرلمانية كخطيب ومناضل برلمانى من الطراز الرفيع ، كان يناضل عن الحرية فى كل مناسبة ، وله المواقف المشهودة فى معارضة نظام الاشتباه السياسى ، ومعارضة القانون المعدل لنظام مجلس الدولة وهو القانون الذى قدمته الحكومة الوفدية إلى البرلمان للانتقاص من سلطات المجلس واستقلاله ، ودوّى صوته مجلجلا معارضاً مشروعات تقييد حرية الصحافة سنة ١٩٥١ ، وكان لمعارضته لهذه المشرعات دوىّ كبير وصدى استحسان عظيم فى الرأى العام ، و بلغت مكانته الوطنية والبرلمانية ذروتها فى معارضته لهذه المشروعات حتى انتهت بسحبها من البرلمان ، فكانت هذه النتيجة أعظم انتصار للفقيد فى حياته السياسية والوطنية .

ولما شبت معركة القنال بين الفدائيين والإنجليز عقب إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ فى أكتوبر سنة ١٩٥١ ، سافر إلى منطقة القنال ، وساهم فى حركات المقاومة ضد القوات

البريطانية ، واستهدف للقتل غير مرة ، فكان ذلك منه غاية البذل والتضحية .

وكانت وفاته يوم أول مايو سنة ١٩٥٢ فى حادثة فاجعة ، بل مأساة أليمة ، إذ كان يعتزم السفر إلى الفشن فى صبيحة ذلك اليوم ليترافع أمام محكمتها فى إحدى القضايا ، وكان ينوى السفر بالقطار ، ولكن مواعيد السفر كانت قد تغيرت ابتداء من أول مايو لحلول الصيف ، وقد فاته أن يعرف الموعد الجديد للسفر ، فلم يدرك قطار الصباح ، فاستأجر سيارة ركبها قاصداً الفشن ، وفيما هى تسير فى الطريق الزراعى وقع لها قبل العياط ببضعة كيلو مترات حادث فجائى ، قلبها رأساً على عقب وهوى بها فى الترعة المحاذية للطريق ، فمات الفقيد غريقا ، وكانت وفاته فجيعة للوطن و بنيه ، إذ فقدوا بوفاته مجاهداً صادقاً بين المجاهدين الأحرار .

كانت وطنيته فوق حزبيته ، وعقيدته أساس شخصيته ، كان يرى فى الحياة السياسية رسالة يؤديها ، لا يبتغى منها لنفسه مغنما ولا نفعا ، ولا يقصد إلّا وجه الله والوطن ، فلا غرو أن حزنت الأمة لوفاته حزنا عظيما .

اسلمى مصر

قال رحمه الله من قصيدة له سنة ١٩٣١ بعنوان (اسلمى مصر) :

اسلمى مصرُ على مرّ القرونْ ... حسبُكِ اللهُ نصيراً ومعينْ
لن تُضَامى أنت يا مهد الخلو ... د وهذا بعض أشبال العرين
من تكن ليلاه مصر لا يَهِنْ ... ساعة البذل ولو ذاق المنون

إلى أن قال :

لا رعاكَ الله يا عهداً مضى ... عهد بغى وافتئات وأفون
محنة لا عهد للناس بها ... جزع الصبر لها ، والصابرون
عصفت بالحرث والنسل معا ... وأعادت عهد كسرى ونرُون
ونضت سيفا بَتوكا كلما ... هبّ ، ذُقنا بين حدَّيه المنون
دولة الحجاج إن قيست بها ... مَثَلٌ فى الرفق عند المنصفين

وهوى الأوطان للأحرار دين

إلى أن قال فى تمجيد التضحية :

فى يمـــــين الله ما ضحيتمو ... لا يُضيع الله أجْرَ المخلصينْ
فى هوى مصر يضحى عن حِجاً ... ورضاء كل مُسْتَبَقٍ ضـــنين
لن يَضيع العُرفُ عند الله إنْ ... ضَيَّع الخـــير أصيل وهجين
هو عند الناس جودٌ ووفا ... وهو عند الله إيمان ودين
ولبانات الهوى شـــتى كنا ... ر ، ســـلِ التاريخ عنها والمنون
فهوى ليلى بقيس متعـــــة ... وهوى الأوطان للأحرار دين
هى ليلانا جميعـا فانظروا ... هل قسطنا ما علينا من ديون ؟
هل جمعنا من أفانين المنى ... ما تمنته على مرّ السنين ؟
ليتنى أحيـــا إلى يوم أرى ... فجرَ مصر فيـه وضّاء الجبين
لا أبالى أعظامى بعـــده ... فى سهوب[1] من ثراها أم حزون
لا ســقاك النيل يا مصر إذا ... لم نقرب من أمانيك الشطون[2]
ونُعِدْ مجداً ســـليبا غابرا ... ونُعَـــيِّر بِلواكِ العـالمين

لا يخشى الموت

كان رحمه الله ينبأ بأن لا يطول به العمر وأنه سيموت فى ربيع الحياة ، فكان يستعد للقاء الموت ، ولا يهابه ولا يخشاه ، وينشد الخلود .

قال فى هذا المعنى من قصيدة له سنة ١٩٣٣ بعنوان (لحن الموت) :

أيها العرّافُ هل عند النجوم ... سرُّ هذا الكون أو عند المنون ؟
كاذبٌ عِلْمُك ما لم تُنبِنى ... حِرْتُ والله ولَجَّتْ بى الظنون

---

(١) السهوب ، كالسهول : الأراضى المستوية ؛ والحزون ، جمع حزن : وهى الأرض الصلبة .
(٢) الشطون : البعيد .

جَهِلَ السرَّ أناسٌ قبلنـــا وجهلْنا فوق جهل الأولين
حمـــلوا العبء وقد ناءت به أُمم من قبلِ عادٍ و (أمون)
ولكم ساءلتُ نفسى حائراً حيرة السارى بليل ذى دجون :
ما وجودى ؟ ما سبيلى ؟ من أنا ؟ ما جهادى ؟ ما مصيرى بعد حين ؟

* * *

يا بنى أمى لقـــد جَدّ نوىً وغدا يجمعنى واد شطون[1]
لا تقولوا مات فى شرخ الصبا ذلك الحق تجـــلّى واليقين
ليس مِنى مَن بكانى فارعَوْوا لن يَردّ الدمعُ محتومَ المنون

* * *

لا تقولوا ليتـــه عاش ! فقد فارق الأصفادَ عصفورٌ سجين
شاقنى الخـــلد كما شاق القطا سلسبيل فى عقاب وقرون[2]

يا قارئ الكف !

وقال فى هذا المعنى سنة ١٩٤٤ من قصيدة له بعنوان (يا قارئ الكف) :

يا قارئ الكف ماذا أضمر القَدَرُ ؟ ولا عليك إذا لم يَصْدُقِ الخَبَرُ
وما اهتمامك باسمى ؟ هَبْهُ عنترةً وهبه زيداً . . وجدى عمْرو أوعمر
عليك بالكف فاقرأ بين أسطرها ماذا يدل عليه الخط والأثر ؟

* * *

أطالِعُ اليمن أن الخط متصل وآية النحس أن الحد منبتر ؟
وما الشِّيات[3] على جنبى ثمانية تبدو كوشم وتخفى حولها غرر ؟

* * *

(١) الشطون : البعيد .
(٢) العقاب ، جمع عقبة : طريق فى الجبل وعر ؛ وقرون ، جمع قرن : القطعة من الجبل .
(٣) الشيات ، جمع شية : العلامة .

خبِّر عن الفأل لا تجفل فسانحة ... عندى كبارحة والشر ينتظر
هل أَنْسَأَ الله فى عمرى إلى أَجل ... يلحّ فيه علىَّ الهمُّ والكِبَرُ ؟
وهل أُبلِّغ آمالى ؟ وأبعدُها ... عندى كقربها ناءٍ ومحتضرُ
هبْنى ظفرت بآمالى على ظمأ ... إذا ارتويت فماذا بعقب الظفر ؟
وهل أُوسِّدُ حَزْنا حَرَّةً وحصى ... فى جوف هاوية أغوارها حجر
أم هَوْجَلاً[1] قَذَفا[2] تنبو براكبها ... لا البيدُ عبَّدها يوماً ولا الحضر
قفراء جرداء لم تكلأ حشائشها ... إلاَّ السواقى ولم يعلق بها مطر
أَم تُقْدَحُ النار من حولى فتطعمنى ... حياً وأشوى بها أبّان تستعر
أَم أن فى مسبح الحيتان منقلبى ... يوم الرحيل إذا ناداني السفر[3] ؟

* * *

قل ما بدا لك واهرف غير مبتدع ... فارجم بالغيب — لو تدرى — هو الهذر
اللحد كاللحد والأكفان واحدة ... ولا خيار لميت حين يدّثر
والمال كالعُدْم لولا أنه أمل ... إن الغنى إلى الأموال مفتقر
والسعد حال على الإنسان طارئة ... (وعند صفو الليالى يحدث الكدر)
لولا التشابه فى الأقدار ما صدقت ... عرّافةُ الحىّ من تُوفَى لها النُّذُر

الشـــورى

وقال من قصيدة له سنة ١٩٤٣ :

بنى مصر هذا الحق أبلج واضح ... وهذا صراط يستوى عنده القصدُ
إذا شئتم الشورى فذلك حكمها ... وإن شئتم الفوضى فليس لها حدّ

(١) الهوجل : المفازة البعيدة لا علمَ بها .
(٢) القذف : البعيدة .
(٣) كأنه فى هذا البيت كان يتنبأ بموته غرقا ، وقد توفى رحمه الله غريقا سنه ١٩٥٢ .

تولى زمان الحاكمين بأمرهم ... ولم يبق فى الدنيا مسودٌ ولا عبدُ

تولى زمان الفرد لا عاد عهده ... وبدل بالدستور سلطانه الفرد

الضمير

وقال يصف الضمير من قصيدة له سنة ١٩٤٤ :

صاحبٌ وسنان من طول السهرْ ... إن تنم ناداك أو تنس ادّكرْ

كلما غافلتـــه فى ســـكرة ... من أمانيك تجنّى أو عذرْ

فإذا كفّرت عن وزر عفا ... وإذا عـــــدت إلى إثم ثأر

ليس ملموساً فتدرى كنهه ... وهو ما كتّمت يدرى ما تسر

وتواريه فيغضى ســـــاعة ... ثم يستيقظ فى لمح البصر

ليس عقلا أو شعوراً خالصاً ... بل تُراثاً من شعور وفـكر

فهو عقـــــل باطن أو ملهم ... وهو إحساس قديم مدخر

كم جرعت الصاب من ترياقه ... واستسغت الشهد مما قد هصر

أنتما الدهرَ طريدٌ آبق ... وغريمٌ طاردٌ أو منتصِرْ

أينما وليتَ أحصى مُرْجئاً ... موعـــداً حتما فأيّان المفر ؟

* * *

يتراءى شـــاحباً أو إمّعاً ... فهو كالظل إذا الظـــل انتشر

وهو جبـــارٌ عنيف تارةً ... وهو أحيـــاناً ضعيف يأتمر

وهو إعصـــار وريح صرصر ... وهو كالسيل إذا السيل انهمر

وهو كالبحر إذا البحر طغى ... وهو كالموج إذا الموج انحسر

وهو كالسهم إذا السهم رمى ... وهو كالسيف إذا السيف بتر

آمرٌ ناهٍ وعاصٍ طيعٌ ... وهو الآمر وهو المزدجر

لا ينام العمر إلاَّ ساعـــــة فترقبها وبالغ فى الحـــــذر
ساعـة إن نمت عنها غافـلا عـدت كالمحمور أو كالمحتضر
أيها الســـاهر نم أو لا تنم وترفق وتجلد واســـتعِرْ
إن جنينا فعلينا وزرنا وإذا نحن أنَبنَّا فاعتـذِرْ

ومصر تناديهم وصوتى يردد

وقال فى يونيه سنة ١٩٤٦ وهو معتقل فى سجن الأجانب :

كفاك عزاء أنك اليوم أوحد وقد يسكن الغمد الحسام المجرد
يهون عذاب السجن والليل موحش ويذهب عنك الحزن فيـه تجلد
وقد يؤسر الليث المنيع عرينه ويرهب منه الصوت وهو مصفد
أهبت بقومى أن يذودوا عن الحمى وما زلت أدعوهم وما زلت أشهد

أهبت بقومى والخطوب زواحف تلم بهم طوراً وطوراً تهـدد
وأنذرت حتى بح صوتى ولم أزل ومصر تناديهم وصـوتى يردد

نذرت نفسى قربانا لفاديها

ومن قصيدة أخرى نظمها وهو فى سجن الأجانب سنة ١٩٤٦ :

شكت إلى الله من عدوان أهليها وعاث غاصبها فى أرض راعيهـا
واحرّ قلباه من يأس يصارعها يكاد لولا بقايا الصبر يرديها
فزعت من غدها علما بحاضرها ورضت نفسى على نسيان ماضيها
وقفت قلبى عليها فى شـــبيبته فشاب منها ومن عدوان ســاليها
لما أفقت من المـاضى بلا أمل نذرت نفسى قربانا لفاديها

* * *

ذكرت مصر فهاجتنى مواجعها ... وعزنى الدمع حتى كدت أبكيها
يا لائمى وأنا الجانى على كبدى ... دع عنك لومى فإن اللوم يغريها
كلٌّ يغنى ليشجى سامرا وهوى ... وقد يغنى لأوطار يرجيها
وليس لى سامر فيها ولا وطر ... ولا زعمت جوادى من مذاكيها
وإنما هى آلامى أكتمها ... حتى يضيق بها صدرى فأحكيها

* * *

نزحت عنها فلم أعدل بها وطنا ... وبات قلبى أسيراً فى مغانيها
وصنت شعرى إلّا عن مفاتنها ... وهمت فى الأرض مسحوراً بواديها
ورقّ شعرى كما رقّت جداولها ... وراق وصفى كما راقت مجاليها
وما رأيت كناساً فيه جؤذرُهُ ... إلّا ذكرت غزالا فى مراعيها

* * *

لما رُدِدْتُ إليها رد لى أملى ... عند اللقاء وأحيانى تدانيها
وقد طويت إليها اليم واقتربت ... بى السفينة من أولى موانيها
فكاد يطفر قلبى من توثبه ... وقد تنسم ريحاً من نواحيها
وحال قلبى دموعا عند ما اتأدت ... فرحت أنثر دمعى فى ضواحيها
سجدت لله عرفاناً لنعمته ... لما حللت رفيقاً من روابيها
فكيف حالت حياتى عندها سقراً ... وكيف أصليت ناراً من سواقيها !

* * *

جارت عليها صروف الدهر واختلفت ... أيدى الرماة فآها من أعاديها !
راشوا لها السهم مسموماً فشتتها ... وكاد لولا يد الرحمن يصميها
وأثخنوها جراحا فى مقاتلها ... يا للجريمة من عدوان آسيها

إلى أن قال :

فزعت من شرك يلقيه غاصبها ... قبل الجلاء نعل (الوعد) يغريها
وما الجلاء إذا شدت[1] بسلسلة ... من القيود و (شرط الحلف) يمليها
تشعب الرأيُ والأحزاب سادرة ... ومصر صابرة والصبر يضنيها
وكيف تنهض من أسر يكبلها ... والقيد آمرها والقيد ناهيها

بنى وطنى أهبت بكم زمانا

وقال فى نوفمبر سنة ١٩٤٦ يندد بالإنجليز على أثر الاعتداءات الدامية التى وقعت منهم فى القاهرة والإسكندرية ، ويدعو المواطنين إلى البذل والتضحية :

سلوا من ساءها[2] هـذا العذابا ... ومن شرع الأسنَّة والحرابا
سلوا جلادها تبّتْ يداه ... بأى شريعة فرض العقابا
أما ينهاه عقل أو ضمير ... يرد له الحجة والصوابا
ضلال أن يعاتبَ مستبدٌّ ... وأولى بالمسوَّد أن يعابا
وجهل أن يخاطب غير أهل ... فلا تحزن عليه إذا تغابى
يصعِّر خده صلفاً وحمقاً ... ويوردها على ظمأ سرابا
وكم أسدت إليه وكم تجنى ... ولم يحسب لعاقبة حسابا
بأى جريرة و بأى عدل ... تجرع مصر كأس النصر صابا ؟
ولولا مصر ما غنموا فلاة ... ولولا مصر ما غلبوا ذبابا

* * *

سلوا (دنكرك) هل نهضوا بعبء ... وقد غنموا السلامة والإيابا
سلوا (الصحراء) عنهم كيف طاروا ... وهل تخذوا النعام لهم ركابا

---

(١) الإشارة هنا إلى مصر .

(٢) يقصد الإنجليز .

سلوا (العلمين) هل ثبتوا بأرض وقد سبقوا مع العَدْو السحابا
فكيف تعاظموا بعد انكسار وكيف تبدلوا أُسْداً غضابا
سلوا (الميثاق[1]) هل وأدوه صبحاً وهل نسجوا من الكفن الإهابا
وكيف جرى على فهم كذابا وسال على سواعدهم خضابا
وكيف استبدلوا شرعاً بشرع فأضحى الحق عندهم اغتصابا
كذلك تلدغ الأفعى كريماً جزاء صنيعه وتمد نابا
وبين الناس رقط وابن آوى وذؤبان ومن غلب الذئابا

إلى أن قال :

ويا وطنى فديتك من جراح إذا نكأت حملناها عِذابا
وهل يأسو الجريح سوى جريح يشاطره الفجيعة والمصابا
وكم من قسور ورد المنايا يروع ببطشه السبع السغابا
إذا كرت عليه الخيل فرّت وإن سام الجياد حمى العرابا
روى دمه ثراك ففاح مسكا وأينع روضة وزكا ترابا
وآخر فى (الجنوب) ثوى شهيداً فضج النيل واجتاح الرحابا
لحا الله الخوارج والمطايا ومن أضحت نفوسهم خرابا
ولا كان الجلاء إذا أحلوا مع الحلف المرافق والرقابا
وطوبى للأولى ذهبوا فداء إلى الرضوان واستبقوا الثوابا

* * *

بنى وطنى أهبت بكم زمانا فلما بح صوتى قيل هابا
ولو نطق الجماد كما نطقنا لأسمعه الصدى عنكم جوابا

---

(١) ميثاق الأمم المتحدة .